

تفسير ابن كثير

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي
نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ^ط فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا
زَوَّجْنَاكَهَا لَكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ^ج
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

يقول تعالى مخبرا عن نبيه ، صلوات الله وسلامه عليه ، إنه قال لمولاه زيد بن حارثة وهو
الذي أنعم الله عليه ، أي : بالإسلام ، ومتابعة الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام : (
وأنعمت عليه) أي : بالعتق من الرق ، وكان سيدا كبيرا الشأن جليل القدر ، حبيبا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم ، يقال له : الحب ، ويقال لابنه أسامة : الحب ابن الحب قالت
عائشة ، رضي الله عنها : ما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية إلا أمره عليهم
، ولو عاش بعده لاستخلفه رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد ، عن
وائل بن داود ، عن عبد الله البهي عنها وقال البزار : حدثنا خالد بن يوسف ، حدثنا أبو
عوانة (ح) ، وحدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا أبو عوانة ، أخبرني عمران

بن أبي سلمة ، عن أبيه : حدثني أسامة بن زيد قال : كنت في المسجد ، فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، فقالا يا أسامة ، استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأتيت رسول الله فأخبرته ، فقلت : علي والعباس يستأذنان ؟ فقال : " أتدري ما حاجتهما ؟ " قلت : لا يا رسول الله فقال : " لكني أدري " ، قال : فأذن لهما قالا يا رسول الله ، جئناك لتخبرنا : أي أهلك أحب إليك ؟ فقال : " أحب أهلي إلي فاطمة بنت محمد " قالا يا رسول الله ، ما نسألك عن فاطمة قال : " فأسامة بن زيد بن حارثة ، الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية - وأمها أميمة بنت عبد المطلب - وأصدقها عشرة دنانير ، وستين درهما ، وخمارا ، وملحفة ، ودرعا ، وخمسين مدا من طعام ، وعشرة أمداد من تمر قاله مقاتل بن حيان ، فمكثت عنده قريبا من سنة أو فوقها ، ثم وقع بينهما ، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله يقول له : " أمسك عليك زوجك ، واتق الله " قال الله تعالى : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) ذكر ابن جرير ، وابن أبي حاتم هاهنا آثارا عن بعض

السلف ، رضي الله عنهم ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نورد ها وقد روى الإمام أحمد ها هنا أيضا حديثا ، من رواية حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس فيه غرابة تركنا سياقه أيضا وقد روى البخاري أيضا بعضه مختصرا فقال : حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا معلى بن منصور ، عن حماد بن زيد ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك قال : إن هذه الآية : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) نزلت في شأن زينب بنت جحش ، وزيد بن حارثة ، رضي الله عنهما وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق ، حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد بن جدعان قال : سألتني علي بن الحسين ما يقول الحسن في قوله : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) [وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه] ؟ فذكرت له فقال : لا ولكن الله أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد ليشكوها إليه قال : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك فقال : قد أخبرتك أنني مزوجكها ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه هكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك وقال ابن جرير : حدثني إسحاق بن شاهين ، حدثني خالد ، عن داود عن عامر ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : لو كنتم محمد صلى الله عليه وسلم

شيئا مما أوحى إليه من كتاب الله ، لكتم : (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه) وقوله : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) : الوطر : هو
الحاجة والأرب ، أي : لما فرغ منها ، وفارقها زوجها ، وكان الذي ولي تزويجها منه
هو الله ، عز وجل ، بمعنى : أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي ولا مهر ولا عقد ولا
شهود من البشر قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم - يعني : ابن القاسم أبو النضر - حدثنا
سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس ، رضي الله عنه ، قال : لما انقضت عدة زينب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة : " اذهب فاذكرها علي " فانطلق حتى
أتاها وهي تخمر عجينها ، قال : فلما رأيتهما عظمت في صدري - حتى ما أستطيع أن أنظر
إليها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ،
وقلت : يا زينب ، أبشري ، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت : ما أنا
بصانعة شيئا حتى أوامر بي ، عز وجل فقامت إلى مسجدتها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في

البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [واتبعته] فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن ، ويقولن : يا رسول الله ، كيف وجدت أهلك ؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر قال : فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب ، ووعظ القوم بما وعظوا به : (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية ورواه مسلم والنسائي من طرق ، عن سليمان بن المغيرة ، بهوقد روى البخاري ، رحمه الله ، عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه ، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماواتوقد قدمنا في " سورة النور " عن محمد بن عبد الله بن جحش قال : تفاخرت زينب وعائشة ، فقالت زينب ، رضي الله عنها : أنا التي نزل تزويجي من السماء ، وقالت عائشة : أنا التي نزل عذري من السماء ، فاعترفت لها زينب ، رضي الله عنها وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن المغيرة ، عن الشعبي قال : كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدي وجدك واحد ، وإني أنكحنيك الله من السماء ، وإن السفير جبريل عليه

السلاموقوله : (لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا)
أي : إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك ; لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات
الأدعياء ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبني زيد بن
حارثة ، فكان يقال له : " زيد بن محمد " ، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى : (وما
جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل
ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ، ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله
صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة ; ولهذا قال في آية
التحريم : (وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم) [النساء : 23] ليحترز من الابن
الدعي ; فإن ذلك كان كثيرا فيهموقوله : (وكان أمر الله مفعولا) أي : وكان هذا الأمر
الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه ، وهو كائن لا محالة ، كانت زينب في علم الله
ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم